الولادةُ في الكَعْبةِ المُعَظَّمَةِ

فَضِيلةٌ لِعَلِيٍّ عَليهِ السَّلام خَصَّهُ بِهَا رَبُّ البَيْتِ

شاكر شَبَعْ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الاخيار المنتجبين .

أما بعد :

فقد حالفني الحظ في مطالعة كتاب « علي وليد الكعبة » لسماحة الشيخ الحجة الميرزا محمد علي الغروي الاردوبادي تغمده الله برحمته ، وسبرت غوره بقدر ما وسعني ذلك ، فامتلات نفسي إعجابا به وإكبارا له ، ووجدتني مندفعا لتسجيل كلمة تعرب عن مبلغ ارتياحي وابتهاجي بهذا الاثر القيم ومكانته .

ولم يعرني شك في أنه نفحة من نفحات أمير المؤمنين عليه السلام منحها المؤلف فاستأثر بها ، مطلقا العنان لسعة باعه وقوة بيانه المفعم بعناصر التجويد والابداع ، موقفاً الباحث على جلية حديث الولادة الميمونة ، مظهراً في أثناء ذلك مبلغ عنائه في جمع مواده .

ولشدة ما استهواني موضوع الكتاب بدأت أجمع استدراكات له ، تتميماً وتعضيداً ، والذي حداني إلى ذلك ثقتي بأنه قدس سره لو أمد الله في عمره لصنع مثل

---

(2)

ما صنعت ، وبارك لي فيما كتبت ، خاصة أني اقتفيت في هذا التتميم أثره ، وسلكت منهجه .

وقد تجمعت لدي نصوص كثيرة من مخطوط الكتب ومطبوعها ، قديمها وحديثها ، نادرها ونفيسها ، مما كان الوصول إليه والحصول عليه في زمان الحجة المؤلف أمرا عسيرا ، ومجموع ذلك يغني لاثبات صحة الحديث ، والكشف عن اتفاق أهل العلم والفضل عليه .

لم تطاوعهم نفوسهم (يحسدون الناس على ما ءاتهم الله من فضله) ولكن الذين لقبول فضائل الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهذه أوّلها بما فيها من دلالات عميقة ، فحاولوا تشويهها بشتى الاساليب ، تمريرا لسياسة معاوية في التصدي لفضائل الامام علي عليه السلام ، تلك السياسة التي دبرها وعممها في مرسوم سلطاني يقول فيه :

برئت الذمة ممن روى شيئاً في فضل ابى تراب واهل بيته [1] .

ثم كتب إلى عماله في جميع الآفاق :

إذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الاولين ، ولا تتركوا خبراً يرويه احد من المسلمين في ابى تراب ، إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة ، فإن هذا أحب الى وأقر لعيني ، وأدحض لحجة ابي تراب وشيعته [2] .

قال الرواي : فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها ! فظهر حديث كثير موضوع ، وبهتان منتشر ! [3] .

وبهذه الجرأة والصلافة ملأوا كتبهم بالاكاذيب الكثيرة ، والفضائل المجعولة ،

---

(1) . شرح نهج البلاغة ـ لابن أبي الحديد ـ ١١|٤٤ عن كتاب « الاحداث » لابي الحسن علي بن محمد المدائني

(2) . المصدر السابق : ١١|٤٦

. المصدر السابق (3)

(3)

. والاحاديث الموضوعة

وحيث لم يطالوا إنكار فضيلة المولد الشريف للامام علي عليه السلام لوضوحه واشتهاره ، بل تواتره والاتفاق عليه ، عمدوا إلى وضع أسلوب آخر لاخفاء أثرها ، وهو ادعاء مثل ذلك لشخص آخر هو الصحابي حكيم بن حزام ، وروجوا لهذه المزعومة حسب الامكانات التي هيأتها لهم السلطة وأعوانها .

وهذه ليست أول خصوصية يحاولون سلبها عليا عليه السلام ، بل هناك غيرها كثير ، منها :

. « الحديث المتواتر المتفق على صحته : « أنا مدينة العلم وعلي بابها

وضعوا قباله حديثاً واهياً هو : « أنا مدينة العلم ، وأبو بكر أساسها ، وعمر حيطانها ، وعثمان سقفها ، وعلي بابها ! » [4] .

وحديثا آخر ، أشد وهنا ، وأظهر وضعاً ، هو : « أنا مدينة العلم ، وعلي بابها ، ومعاوية حلقتها ! » [5] .

. « ومنها الحديث المتواتر الثابت الآخر : « علي مني بمنزلة هارون من موسى

وضعوا قباله حديثاً يشهد متنه وسياقه بوضعه ، فضلا عن سنده ، هو : « أبو بكر مني بمنزلة هارون من موسى ، وعمر مني بمنزلة هارون من موسى ! » [6] .

ومنها الحديث المتواتر الصحيح الآخر : « لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . . . » . وضعوا قباله حديثا مثيرا للضحك والسخرية والاستغراب ، هو : « لاعطين هذا الكتاب رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ! قم يا عثمان بن أبي العاص . فقام عثمان بن أبى العاص ، فدفعه إليه ? » [7] .

ويكشف عن هذا التلاعب المكشوف ، ويبين أنه كان أمرا معروفا ومألوفا ، قول

. و ٥) راجع الغدير ٧ : ١٩٧ ـ ١٩٩ 4)

. راجع الغدير ١٠ : ٩٤ (6)

. المعجم الاوسط للطبراني ١ : ٤٣٨ ح ٧٨٨ ، عنه مجمع الزوائد ٩ : ٣٧١ (7)

---

(4)

: الزهري في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد بن حنبل في « فضائل الصحابة » قال حدثنا عبد الرزاق ، قال : أنا معمر ، قال : سألت الزهري : من كان كاتب الكتاب يوم الحديبية ؟

. [8] فضحك وقال : هو علي ، ولو سألت هؤلاء ـ يعني بني أمية ـ قالوا : عثمان

واستعراض باقي الامثلة يخرجنا عن موضوع البحث الرئيسي ، وإنما أردنا التدليل على منهج أولئك في سلب الخصوصية ، وجرأتهم على وضع الاحاديث الواهية قبال الاحاديث السليمة .

هذا رغم ميل بعض العلماء إلى أن ولادة حكيم بن حزام في الكعبة ليست فضيلة ولا مكرمة ، وإنما كانت اتفاقا ولم تكن قصدا ، كما ارتأى ذلك الصفوري وغيره [9] .

وأغرق بعضهم نزعا في الضلال ، ورمى القول على عواهنه ، متحديا ما أثبته مهرة الفن وأئمة النقل ، وأخبت كبار العلماء والمؤرخين بصحته ، ولم يكترث بأسانيده المتضافرة ، وطرقه المتصلة المعتمدة عند كل مؤالف ومخالف ، فقال :

إن حكيم بن حزام ولد في جوف الكعبة ، ولا يعرف ذلك لغيره ، وأما ما روي أن « عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء [10] ! !

وقد أجاد الحجة الاردوبادي في الرد عليه ، وتفنيد مزاعمه ، فراجع أواخر باب « حديث الولادة والمؤرخون » .

ولكن نجد رغم ذلك أن محاولتهم فيما يخص فضيلة المولد الشريف في الكعبة ، فلو رجعنا إلى مصادر الحديث لوجدنا خلالها ـ مع إثبات [11] المعظمة باءت بالفشل

. فضائل الصحابة ٢ : ٥٩١ ح ١٠٠٢ طبعة مكة (8)

. نزهة المجالس ٢ : ٢٠٤ (9)

. أنظر إنسان العيون ١ : ٢٢٧ (10)

قال الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني في الاصابة : ٤|٢٦٩ : « كلما أرادوا ـ يعني بنو أمية ـ إخمادها (11) . « وهددوا من حدث بمناقبه لا تزداد إلا انتشارا

(5)

تلك الفضيلة للامام على عليه السلام على اليقين والجزم ـ أن من المؤلفين والعلماء والرواة من أعلن أن هذه الفضيلة مختصة بالامام عليه السلام لم يشركه فيها أحد قبله ولا بعده ، مصرحين بذلك بعبارات شتى تدل على حصر هذه الفضيلة للامام عليه السلام بضرس قاطع .

وإليك نصوصها :

« لم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه ، إكراما له بذلك وإجلالا لمحله في التعظيم » .

رواها الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف القرشي الكنجي الشافعي (ت ٦٥٨ هـ) (عن الحاكم أبي عبد الله النيشابورى (٣٢١ ـ ٤٠٥ هـ) (١٢ .

وقالها أيضا :

ـ الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي ، الشيخ المفيد (ت ٤١٣) [13] .

ـ الحافظ يحيى بن الحسن الاسدي الحلي ، المعروف بابن البطريق (٥٣٣ ـ ٦٠٠ هـ) [14] .

ـ الشيخ الثبت أبو علي محمد بن الحسن الواعظ الشهيد النيسابوري ، المعروف بابن الفتال ، من علماء القرن السادس [15] .

ـ الشيخ الوزير بهاء الدين أبو الحسن علي بن عيسى الاربلي (ت ٦٩٣ هـ [16] .

---

(12) كفاية الطالب : ٤٠٧ .

(13) الارشاد : ٩ .

(14) عمدة عيون صحاح الاخبار : ٢٤ .

(15) روضة الواعظين : ٧٦ .

. كشف الغمة ١ : ٥٩ (16)

---

(6)

ـ الامام جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (٦٤٨ ـ ٧٢٦ هـ) [17] .

ـ السيد المحدث جلال الدين عبد الله بن شرفشاه الحسيني ، المتوفى نيف وثمانمائة من الهجرة [18] .

ـ الشيخ المحدث الحسن بن أبي الحسن الديلمي ، من أعلام القرن الثامن الهجري [19] .

ـ الشيخ المؤرخ النسابة جمال الدين أحمد بن علي الحسني ، المعروف بابن عنبة (ت ٨٢٨ هـ) [20] .

ـ العلامة المحدث السيد ولي الله بن نعمة الله الحسيني الرضوي ، من أعلام القرن التاسع الهجري [21] .

ـ العالم اللغوي الشيخ فخر الدين الطريحي (٩٧٩ ـ ١٠٨٧ هـ) [22] .

ـ العلامة محمود بن محمد بن علي الشيخاني القادري الشافعي المدني ، من أعلام القرن الحادي عشر [23] .

* * *

« ولد بمكة في البيت الحرام ، ولم يولد قط في بيت الله تعالى مولود سواه ، لا قبله ولا بعده ، وهذه فضيلة خصه الله تعالى بها ، إجلالا لمحله ومنزلته ، وإعلاء لقدره » .

. نهج الحق وكشف الصدق : ٢٣٢ (17)

. منهج الشيعة في فضائل وصي خاتم الشريعة : ٧ ، نسخة مكتبة آية الله الكلبايكاني المؤرخة ١٢٦٥ هـ (18)

. إرشاد القلوب : ٢١١ (19)

. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : ٥٨ (20)

. كنز المطالب وبحر المناقب : ٤١ ، نسخة المدرسة الفيضية المؤرخة ٩٨٩ هـ (21)

. جامع المقال : ١٨٧ (22)

. الصراط السوي : ١٥٢ ، نسخة المكتبة الناصرية في لكهنو بالهند ، والتي يظهر أنها بخط المؤلف (23)

---

(7)

: قالها

. [24] (ـ أمين الاسلام الشيخ المفسر أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ

ـ الحافظ محمد بن معتمد خان البدخشاني الحارثي ، من أكابر علماء العامة في القرن

. [25] الثاني عشر

*** * ***

ولد بداخل البيت الحرام ، ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه ، وهي فضيلة »

. « خصه الله تعالى بها اجلالا له ، وإعلاء لمرتبته ، وإظهارا لتكرمته

: قالها

. [26] (ـ الحافظ نور الدين علي بن محمد بن الصباغ المكي المالكي (٧٨٤ ـ ٨٥٥ هـ

: وحكاها عنه

ـ الفقيه المؤرخ نور الدين علي بن عبد الله الشافعي السمهودي (٨٤٤ ـ ٩١١ هـ) في

. « « جواهر العقدين في فضل الشرفين العلم الجلي والنسب العلي

. [27] « ـ الشيخ علي بن برهان الدين الحلبي (٩٧٥ ـ ١٠٤٤ هـ) في « إنسان العيون

. [28] ـ الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي ، من علماء القرن الثالث عشر

*** * ***

. إعلام الورى : ١٥٣ ، تاج المواليد : ١٢ (24)

. مفتاح النجا في مناقب آل العبا ، نزل الأبرار بما صح من مناقب أهل البيت الاطهار : ١١٥ (25)

. الفصول المهمة : ٣٠ (26)

. عنهما علي وليد الكعبة : ١١٩ (27)

. نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار : ١٥٦ (28)

---

(8)

. « ولد في البيت الحرام ، ولا نعلم مولودا في الكعبة غيره »

قالها نقيب الطالبيين الاديب الفقيه أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي ، المعروف

. [29] (بالشريف الرضي (٣٥٩ ـ ٤٠٦ هـ

*** * ***

. « ولدته ـ أمه ـ في الكعبة ، ولا نظير له في هذه الفضيلة »

قالها علم الهدى ذو المجدين علي بن الحسين الموسوي ، المعروف بالشريف

. [30] (المرتضى (٣٥٥ ـ ٤٣٦ هـ

*** * ***

. « لم يولد في الكعبة إلا على »

: قالها

. [31] (ـ الحافظ الفقيه محمد بن علي القفال الشاشي الشافعي (ت ٣٦٥ هـ

. (ـ شيخ الاسلام الحافظ المحدث إبراهيم بن محمد الجويني الشافعي (٦٤٤ ـ ٧٣٠ هـ

*** * ***

. « ولدت ـ فاطمة بنت أسد ـ عليا عليه السلام في الكعبة ، وما ولد قبله أحد فيها »

نص على ذلك السيد الشريف النسابة نجم الدين أبو الحسن علي بن محمد العلوي العمري ، من علماء القرن الخامس الهجري .

---

(29) خصائص الائمة : ٤ .

(30) شرح قصيدة السيد الحميري المذهبة : ٥١ ، طبعة مصر سنة ١٣١٣ هـ .

(31) فضائل أمير المومنين : مخطوط ، عنه إحقاق الحق ٧ : ٤٨٩ .

(32) فرائد السمطين ١ : ٤٢٥ .

(33) المجدي في أنساب الطالبيين : ١١ .

« لقد ولد عليه السلام في بيت الله الحرام ، ولم يولد فيه أحد غيره قط » .

قالها الشيخ الفقيه أبو الحسين سعيد بن هبة الله ، المعروف بقطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) [34] .

* * *

« مولده عليه السلام في الكعبة المعظمة ، ولم يولد بها سواه » .

قالها العلامة عمر بن محمد بن عبد الواحد [35] .

* * *

« . . . فالولد الطاهر ، من النسل الطاهر ، ولد في الموضع الطاهر ، فأين توجد هذه الكرامة لغيره !

فأشرف البقاع : الحرم ، وأشرف الحرم ، المسجد ، وأشرف بقاع المسجد : الكعبة ، ولم يولد فيه مولود سواه .

فالمولود فيه يكون في غاية الشرف ، فليس المولود في سيد الايام (يوم الجمعة) في

. « الشهر الحرام ، في البيت الحرام سوى أمير المؤمنين عليه السلام

قالها الحافظ المؤرخ أبو عبد الله محمد بن علي بن شهرآشوب السروي المازندراني

. [36] (ت ٥٨٨ هـ) بعد أن ذكر عدة أحاديث في ولادة علي عليه السلام في الكعبة

* * *

ولد في الكعبة بالحرم الشريف ، فكان شرف مكة وأصل بكة لامتيازه »

. الخرائج والجرائح ٢ : ٨٨٨ (34)

النعيم المقيم لعترة النبأ العظيم : ١٦ ، مخطوطة مكتبة آيا صوفيا ـ تركيا ، وأنظر بشأنه إيضاح المكنون ٢ : (35)

. ٦٦١ ، أهل البيت ـ عليهم السلام ـ في المكتبة العربية

. مناقب آل أبي طالب ٢ : ١٧٥ (36)

. « بولادته في ذلك المقام المنيف ، فلم يسبقه أحد ولا يلحقه أحد بهذه الكرامة

قالها المحدث الجليل السيد حيدر بن علي الحسيني الآملي من علماء القرن الثامن

. [37] الهجري

* * *

كانت ولادته بالكعبة المشرفة ، وهو أول من ولد بها ، بل لم يعلم أن غيره ولد بها »

» .

قالها العلامة صفي الدين أحمد بن الفضل بن محمد باكثير الحضرمي الشافعي ، من

. [38] أعلام القرن الحادي عشر

* * *

ولد عليه السلام بمكة داخل الكعبة على الرخامة الحمراء ، ولم ينقل ولادة أحد قبله »
. « ولا بعده في الكعبة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
: قالها كل من
ـ العالم المحدث الفقيه السيد تاج الدين بن علي بن أحمد الحسيني العاملي ، من علماء
. [39] القرن الحادي عشر
. [40] ـ العالم الفاضل محمد بن رضا القمي ، من علماء القرن الحادي عشر

* * *

ولادة معدن الكرامة في جوف الكعبة ، ولم يولد أحد فيها غيره ، وقد خصه »

. الكشكول فيما جرى على آل الرسول : ١٨٩ (37)

. وسيلة المآل : ٢٨٢ ، نسخة مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامة ، المؤرخة ١٢٨٠ هـ (38)

. التتمة في تواريخ الائمة ، الفصل الثالث ، مخطوط (39)

. كاشف الغمة : ٤٢٢ " نسخة المؤلف المخطوطة المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى ، برقم ٢٠٠٠ (40)

. « الله تعالى بهذه الفضيلة ، وشرف الكعبة بهذا الشرف
قالها العلامة الفاضل محمد مبين بن محب الله بن أحمد اللكهنوي الانصاري الحنفي
. [41] ((ت ١٢٢٥ هـ
ولادته في مكة المكرمة في جوف بيت الله الحرام ، ولم يولد أحد غيره في هذا »
. « المكان المقدس
قالها العلامة الشيخ محمد صديق خان الحسيني البخاري القنوجي (١٢٤٨ ـ ١٣٠٧
. [42] (هـ

* * *

كانت ولادته عليه السلام في جوف الكعبة ، ولم تتح هذه السعادة لائ أحد منذ بدء » الخليقة إلى الغاية ، وإن لصحة هذا الخبر بين المؤرخين المتحفظين على الفضائل . « صيت لا تشوبه شبهة ، وتجاوز عن أن يصحبه الشك والترديد

. [43] (قالها المؤرخ الشهير محمد بن خاوند شاه بن محمود (ت ٩٠٣ هـ

* * *

. « من المتفق عليه أن غيره صلوات الله عليه لم يولد هناك »

. [44] قالها المؤرخ العالم زين العابدين الشيرواني ، من علماء القرن الثاني عشر

* * *

أما الشعراء ، وخاصة العلماء منهم ، فقد زينوا شعرهم بقصائد في بيان فضائله ومناقبه عليه السلام المروية بالطرق الصحيحة المصححة المتواترة ، تخليدا لذكراه ، : وأداء لبعض حقه ، وأثبتوا فيها خصوصية ولادته في الكعبة المعظمة ، ومنهم

---

(41) . وسيلة النجاة : ٦٠ ، طبعة كلشن فيض ـ لكهنو

(42) . تكريم المؤمنين بتقويم مناقب الخلفاء الراشدين : ٩٩ ، طبعة الهند سنة ١٣٠٧ هـ

(43) . روضة الصفا في آداب زيارة المصطفى ، الجزء الثاني

(44) . بستان السياحة : ٥٤٣ ، الطبعة الثانية

العالم الاديب أبو الحسن علاء الدين علي بن الحسين الحلي ، من العلماء الشعراء في القرن الثامن الهجري ، يقول في قصيدة دالية طويلة :

? ام هل ترى في العالمين بأسرهم * بشرا سواه ببيت مكة يولد
في ليلة جبريل جاء بها مع * الملأ المقدس حوله يتعبد
[45] فلقد سما مجدا عليٌّ كما علا * شرفا به دون البقاع المسجد

ومنهم العالم المتكلم المحدث الفقيه المولى محمد طاهر بن محمد حسين القمي ، صاحب المؤلفات القيمة النافعة ، المتوفى سنة ١٠٩٨ هـ ، في لاميته البديعة التي مطلعها :

سلامة القلب نحتني عن الزلل * وشعلة العلم دلتني على العمل

إلى أن يقول :

[46] طوبى له كان بيت الله مولده * كمثل مولده ما كان للرسل

ومنهم الفقيه المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (١٠٣٣ ـ ١١٠٤ هـ) صاحب « وسائل الشيعة » ، قال في أرجوزة له في تواريخ المعصومين عليهم السلام :

مولده بمكة قد عرفا * في داخل الكعبة زيدت شرفا
على رخامة هناك حمرا * معروفة زادت بذاك قدرا

فيا لـهـا مزية علية * تـخفـض كـل رتبة علية
ما نـالها قط نبيٌّ مرسل * ولا وصـــي آخر وأول

---

(45) . تجد القصيدة كاملة في الغدير ٦ : ٣٥٦ ـ ٣٦٤

(46) . الغدير ١١ : ٣٢٠

. [47] ثم شرع بنظم حديث يزيد بن قعنب المشهور
ومنهم الشيخ الفقيه حسين نجف التبريزي النجفي (١١٥٩ ـ ١٢٥١ هـ) ، حيث يقول
: في قصيدته الهائية

جعــل الله بيتـه لعلي * مـولداً يا له علا لا يضاهى
[48] لـم يشاركه في الولادة فيه * سيد الرسل لا ولا أنبياها

ومنهم العلامة السيد علي نقي النقوي الهندي اللكهنوي في موشحة ميلادية طويلة ،
: منها قوله

لم يكن في البيت مولود سواه * إذ تعالى عن مثيل في علاه
اوتـي الـعلم بتـعليم الاله * فـغذاه دره قـبل الفطام
[49] يرتوي منه بأهنى مشرب

ومنهم آية الله السيد محسن الامين (١٢٨٤ ـ ١٣٧١ هـ) صاحب الموسوعة القيمة « أعيان الشيعة » ، حيث ذكر في أول باب سيرة أمير المؤمنين عليه السلام ، فصل في مولده ، من موسوعته الآنفة الذكر :

[50] ولدت ببيت الله وهي فضيلة * خصصت بها إذ فيك أمثالها كثر

وله أيضا من مقصورة :

[51] وولدت في البيت الحرام ولم يكن * هذا لغيرك من يكون ومن مضى

---

(47) . عليٌّ وليد الكعبة : ٣٦

(48) . نقلها الشيخ الاوردبادي في علي وليد الكعبة : ٦٩ عن ديوان الشيخ المخطوط

(49) . تجدها كاملة في عليّ وليد الكعبة : ٨٥ ـ ٨٨ ، والغدير ٦ : ٣٣ ـ ٣٥

(50) . أعيان الشيعة ١ : ٣٢٣

(51) . عليٌّ وليد الكعبة : ١٠٨

. (ومنهم السيد حسن بن محمود الامين (١٢٩٩ ـ ١٣٦٨ هـ
في قصيدة بائية طويلة :

ولدت في البيت بيت الله فارتفعت * أركـانه بـك فوق السبعة الحجب

[52] وتـلك مـنـزلـة لم يؤتها بشر * بلى ومرتبة طالت على الرتب

ومنهم الفاضل الاديب الشيخ محمود عباس العاملي في قصيدته العلوية المسماة بـ « الدرر السنية » :

من مـثله في بيت بارئه ولد ؟ * ذي خصلة قد خص فيها مذ وجد
أمعن بها يـا صاح فكرا واعتمد * وانظر لها النظر الصحيح ولا تحد
من واضح المنهاج وقيت الضرر [53]

والشعر في خصوصية ولادة على عليه السلام في الكعبة كثير ، التقطت منه هنا ما هو أروع إلى السمع وأوقع في القلب .

* * *

بعد هذه المقدمة لابد من خوض غمار حديث ولادة حكيم في الكعبة ، هذه المزعمة الزائفة ، والرواية المجعولة ، وإخضاعها لشيء من البحث والتحقيق والتمحيص ، لكشف زيفها وبيان وضعها ، إذ فيها الكثير مما يوجب الشك والريب في سلامتها وصحتها ، وبراءة ساحة رواتها .
وأول من نسبت إليه وحكيت عنه ، وأقدمهم : هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، النسابة المعروف ، صاحب التآليف التي

---

(52) أعيان الشيعة ٥ : ٢٨٥ ، دائرة المعارف الشيعية ١ : ١٥٣ .

(53) علي وليد الكعبة : ٨٣ .

نيفت على المائة والخمسين ، والمتوفى سنة أربع أو ست ومائتين ، وقيل : الاول أصح .
والكلبي ممن تكالب بعض علماء الجرح والتعديل من العامة على تضعيفه وترك ما

. رواه ، وعدم الاحتجاج به

. [54] قال الدارقطني وغيره : متروك الحديث

. [55] وقال يحيى بن معين : غير ثقة

وقال السمعاني : « يروي العجائب والاخبار التي لا أصول لها . . . . أخباره في

. [56] « الاغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى الاغراق في وصفها

وهذه الاتهامات ضد الكلبي ليس لها وزن عندنا ، لانها ناشئة عن تعصب طائفي ،

. ومنقوضة بما يخالفها من آراء حسنة في الرجل تدل على خبرته وأمانته

. إلا أنا نشكك في صحة نسبة ذلك القول إليه ، وفي صدق الحكاية عنه

والمتهم في التقول عليه هو روايته السكري ، فقد نسب إلى الكلبي أنه قال في «

: « جمهرة النسب

وحكيم بن حزام بن خويلد عاش عشرين ومائة سنة ، وكانت أمه ولدته في الكعبة »

. [57] «

وكتاب الجمهرة من أشهر كتبه ، عده كبار المؤرخين من مصنفاته ، وذكروا أن محمد بن سعد كاتب الواقدي ومصنف كتاب « الطبقات » الكبير رواه عنه مع سائر مصنفاته

.

ولكن النسخة التي بأيدينا من كتاب الجمهرة هي برواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (٢١٢ ـ ٢٧٥ هـ) عن أبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية البغدادي (ت ٢٤٥

. هـ) عن الكلبي

. و٥٥) سير أعلام النبلاء ١٠ : ١٠١ ، لسان الميزان ٦ : ١٩٦ 54)

. الانساب ٥ : ٨٦ (56)

. جمهرة النسب ١ : ٣٥٣ (57)

. [58] وهذا خلاف ما أثبته المؤرخون كالنديم والحموي وغيرهما

. وكان لهذا الاختلاف أثر كبير ، ودور مؤثر في متن الكتاب الاصلي

فقد عمد السكري إلى دس بعض آرائه وأقواله ومروياته في متن الجمهرة ، مصدرا بعضها بـ « قال أبو سعيد » ، هاملا البعض الآخر ، كما قام بتحريف بعض الجمل

. والكلمات ، أو تبديلها بما يتلاءم وآراءه الفكرية والمذهبية

وكان هذا ديدن السكري في ما يرويه من مصنفات غيره ، وهكذا صنع بكتاب «

. المحبر » لاستاذه وشيخه أبي جعفر محمد بن حبيب

. وقد تنبه لهذا الامر محققا كتاب الجمهرة والمحبر

: قال الدكتور ناجي حسن محقق الجمهرة في مقدمة التحقيق

لقد وصلتنا جمهرة النسب لابن الكلبي برواية أبي سعيد السكري ، عن محمد ابن »

حبيب ، عن ابن الكلبي ، ومع ذلك ظهرت فيها إضافات واضحة ، وزيادات ، وتعليقات

. بينة ، لم ترد في أصل الجمهرة ، بل أضافها الرواة والنساخ

ولا يستبعد أن يكون أبو سعيد السكري هو نفسه الذي قام بهذا العمل ، حين وجد لديه

. [59] « فيضا من الاخبار ذات الصلة بالانساب

بعد هذا كله فليس من المستبعد ، ولا المستحيل ، أن تكون جملة « وكانت أمه ولدته

في جوف الكعبة » في ذيل كلمة الكلبي المتقدمة من تلك الاضافات ، والزيادات ،

. « والتعليقات البينة ، المحسوبة « فيضا من الاخبار ذات الصلة بالانساب

فإن كانت هذه الزيادة مبهمة بعض الشيء أومشكك في أنها من الجمهرة ، فهي

. واضحة ، مكشوفة ، جلية في المحبر

: ففي فصل الندماء من قريش

وكان الحارث بن هشام بن المغيرة نديما لحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد »

. الفهرست : ١٤٣ ، معجم الادباء ١٩ : ٢٩١ (58)

. جمهرة النسب : ١٠ (59)

ـ وحكيم هذا ولد في الكعبة ، وذلك أن أمه دخلت الكعبة وهي حامل به ، فضربها

. [60] « المخاض فيها ، فولدته هناك ـ أسلما جميعا

فالعبارة التي بين شارحتين قد أحدثت فاصلة بين صدر الكلام وذيله ، إذ المراد بقوله

« أسلما جميعا » : الحارث وحكيم ، كما يدل عليه قوله المتقدم في أول الفصل

المذكور : « وكان حمزة بن عبد المطلب نديما لعبدالله بن السائب المخزومي ، أسلما

. [61] « جميعا

على أن هذا الفصل هو في الندماء من قريش ، وليس في ذكر أحوالهم وأحوال أمهاتهم وتاريخ ولاداتهم وكيفيتها .

أضف إلى هذا أن عناوين الفصول والابواب في المحبر انتخبت بدقة لتتلاءم مع محتوياتها ، كما يلاحظ بشكل جلي أنها خالية من الحشو وذكر الامور الفرعية ، اللهم إلا في بعض الموارد التي هي من إضافات السكري .

: ففي فصل أسلاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وسالفه صلى الله عليه : سعيد بن الاخنس ـ قال أبو سعيد السكري : سعيد هذا هو » الذي قال النبي صلى الله عليه : أبعده الله ، فإنه كان يبغض قريشا ـ بن شريق ابن وهب . . . . « [62] .

. « وما أشبه قوله « سعيد هذا » بقوله « حكيم هذا

وما أشبه الفاصلة بين « بن الاخنس . . . . بن شريق » بالفاصلة الحادثة في الفقرة موضع البحث ، وكل ما في الامر تصديرها بـ « قال أبو سعيد السكري » هنا ، وتركها سائبة مهملة هناك .

لم يكتف السكري بهذا ، بل أضاف في بعض الموارد بهلا وروايات تتماشى مع اعتقاداته المذهبية .

---

(60) المحبر : ١٧٦ .

(61) المصدر نفسه : ١٧٤ .

(62) المصدر نفسه : ١٠٥ .

. « أذكر منها ما في أواسط فصل « ذكر سرايا رسول الله صلى الله عليه وجيوشه وفيها غزوة عمرو بن العاص السهمي على ذات السلاسل ، ومعه أبو بكر وعمر » وأبو عبيدة بن الجراح في جيشه ، وكان استمد ، فأمده النبي صلى الله عليه بجيش فيهم أبو بكر وعمر ، ورئيس الجيش أبو عبيدة بن الجراح .

قال أبو سعيد : فشكا أبو بكر وعمر رحمهما الله إلى النبي صلى الله عليه عمرو ابن العاص ، فقال لهما : لا يتأمر عليكما أحد بعدي . وهذا توكيد لخلافة أبي بكر وعمر

. [63] « رحمهما الله

ولست في صدد الخوض في بحوث الخلافة والامامة ، ومن هو أحق بها من غيره ، أو الولوج في مدى صحة حديث « لا يتأمر عليكما أحد بعدي » وعدمه ، فهذا أمر أشبعه علماؤنا بحثا وتفصيلا ، ولكن أوردت هذا المثال لبيان تلاعب السكري في متون الكتب ، وهدفه من ذلك وغايته .

: يقول محقق كتاب المحبر في كلمة الختام

وأظن أنه ـ أي ابن حبيب ـ كان يميل إلى الشيعية ، فإنه لا يذكر أبدا أم المؤمنين » عائشة ، وسيدنا أبا بكر الصديق ، وسيدنا عمر إلا بكلمة (رحمه الله) مع أنه دائما يذكر ام المؤمنين خديجة وسيدنا عليا بكلمة (رضي الله عنه) رضي الله عنهم أجمعين .

. [64] وأيضا قد أثبت جميع ما يعاب به الرجل في سيدنا عمر ، مثل أنه كان أحول أو كان قد ضرب ، قبل أن يسلم ، جاريته ضربا مبرحا على قبولها الاسلام ، ربنا لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا !

فمن أجل ذلك ، فيما أحسب ، أن راويه أبا سعيد السكري يضيف أحيانا إلى

---

(63) . المصدر نفسه : ١٢١ و١٢٢

(64) . أنظر المحبر : ٣٠٣

. [65] « متن الكتاب ما يؤيد رأي أهل السنة والجماعة في أمر الخلافة

وقد تحامل كثيرا على ابن حبيب لوصفه عمر بأنه أحول ، وهو أمر خلقي وليس عيبا كما ادعى .

أو إثباته لبعض الحقائق التاريخية الثابتة المروية في جل كتب السيرة والتاريخ كضرب عمر جاريته لانها سلكت طريق الحق وأسلمت .

حتى أنه عدها من الغل جهلا وتعصبا !

ويا ليته أمعن في مسألة تلاعب السكري المكشوف بمتن المحبر ، وإضافاته الواضحة إليه ، حتى يراها عين اليقين ، لكنه تساهل كثيرا وقال " فيما أحسب " فكان من الذين ارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون .

* * *

فإن قيل : لا يهم عدم ذكر الكلبي وابن حبيب لخبر ولادة حكيم بن حزام في الكعبة ، في أصل كتابيهما ، وأنها مما أضافه السكري فيما بعد باعتباره الراوي الاول لهما ، . وثبوت نسبة هذه الزيادات إليه ؛ لاننا نروي عن أئمة الجرح والتعديل عندنا توثيقه . [66] فقد قال فيه الخطيب البغدادي : كان ثقة دينا صادقا . [67] وقال ياقوت الحموي : الراوية الثقة المكثر . فما زداه السكري في متن الكتابين نعده صحيحا مقبولا

قيل لهم : إن ما أثبتناه من التلاعب السافر للسكري في نصوص الكتب ومتونها ، : ينافي إطلاقكم صفة « ثقة » عليه ، لان الوثاقة هي الامانة . والثقة : الامين ، يقال

---

(65) . المصدر نفسه : ٥٠٩

(66) . تاريخ بغداد ٧ : ٢٩٦

(67) . معجم الادباء ٨ : ٩٤

. [68] وثقت بفلان أثق ثقة إذا ائتمنته

وقد بينا أنه لم يكن أمينا في رواية الكتابين ، لخيانته للامانة العلمية المتبعة في الاحتفاظ بالنصوص على ما هي عليه ونقضه قواعد الرواية ، ففتح بذلك بابا للتلاعب . المعلن بالكتب والآثار ، لم يغلق إلى عصرنا هذا

. على أنا لو سلمنا أنه كان ثقة كما تدعون ، فروايته هذه مردودة لاكثر من سبب منها : الارسال ،

. والذي عليه جل العلماء وأجلتهم أنه ضعيف ، مردود ، لا يحتج به

قال النووي في التقريب : « ثم المرسل حديث ضعيف عند جماهير المحدثين ، وكثير . [69] « من الفقهاء وأصحاب الاصول

وقال مسلم في مقدمة صحيحه : « والمرسل من الروايات في أصل قولنا وقول أهل

. [70] « العلم بالاخبار ليس بحجة

وقال ابن الصلاح في مقدمته : « ثم اعلم أن حكم المرسل حكم الحديث الضعيف ، إلا أن يصح مخرجه بمجيئه من وجه آخر » . [71]

وقال النووي : « ودليلنا في رد العمل به أنه إذا كانت رواية المجهول المسمى لا تقبل لجهالة حاله ، فرواية المرسل أولى ، لان المروي عنه محذوف ، مجهول العين والحال » .

وقال ابن أبي حاتم في كتاب المراسيل : « سمعت أبي وأبا زرعة يقولان : لا يحتج بالمراسيل ، ولا تقوم الحجة إلا بالاسانيد الصحاح المتصلة » . [72]

---

(68) . أنظر الصحاح ٤ : ١٥٦٢ ، لسان العرب ١٠ : ٣٧١

(69) . التقريب : ٦٦

(70) . صحيح مسلم ١ : ٣٠

(71) . مقدمة ابن الصلاح : ١٣٦

(72) . المراسيل : ١٥